بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله الحق .. الكريم فى عليائه .. حمداً بنعمائه وخلقه وآلائه .. حمداً يستحقه كما ينبغى له بعظيم صفاته وأسمائه .. حمداً لمن تُرجى رؤيته فى الآخرة برضائه .. وصلاة وسلاماً تامين على من أكرم فى الدنيا بلقائه ..

وبعـــد ..

فالإيمان من ضرورات الحياة الإنسانية، تستقيم النفس باكتماله وصدقه، فإن ارتبط بعمل خيّر مثمر، تنزه عن النقصان، واتصال الإيمان الحق بالعمل فى الإسلام إنما يكون قولاً وفعلاً، عقيدة وسلوكاً، فكراً مجرداً وتطبيقاً عملياً، وبينما تتحدد كثير من شُعب الإيمان بالأداء والعمل، فإن أغلب أركانه – فيما يحدده الشرع – قائم على غيبيات، عدا قليله مما يتصل بشهادة الحس، والغيبيات غير معلومات إلا بوحى يقينى صادق، فيما تشهد لها بذلك النصوص المحكمة الثابتة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه الحق، ﷺ والتصديق بالغيبيات من أقوى ركائز الإيمان إذ إنه الأحق تعبيراً عن الشرع والدعامة الأولى لتأسيس العقيدة، ومسألة «رؤية الله» من قضايا الغيب التى ارتبطت باليوم الآخر، وقد أثيرت فى العهد الأول ولا زالت تُثار، وهى محل للخلاف بين اتجاهات مفكرى الإسلام، وردت بها دلالة النص القرآنى وأثبتتها أحاديث صحاح وتناولها المفسرون والفقهاء والمتكلمون والفلاسفة والمتصوفة، ونجم عن هذا التناول كثير اختلاف بين تلك الاتجاهات وصل حد التناقض فى النتائج المقررة بين فرق الاتجاه الواحد مثلما وقع بين المتكلمين، حيث التزم كل اتجاه منها طريقة ونهجه، وقرر عقيدته فى الرؤية وقدم الدلالة الشرعية والعقلية معاً لإثبات صحة نتائجه، وهو معْنِيٌ فى ذات الوقت ببطلان ما يناقض تلك النتائج فى عقائد الآخرين.

ومحاولة فهم وتحليل ثنائية (النص والعقل) فى الإسلام، تعد جوهر المنازعات فى الدين فيما اتصل بالأصوال وفروعها، خاصة إذا ما كان النص سماوياً، وليس ثمة ضابط موضوعى يؤطر للعقل حدوده ويقيّم نتائجه فى مواجهة النص، وربما قد أثار ذلك قضية التلازم المنطقى فى الفكر الإسلامى بين المنهج والمذهب.

والقضيتـــان:

★ ثنائية العقل والنص الدينى. ★ والتلازم المنطقى بين المنهج والمذهب.

ربما عُدتا – بنظرة فاحصة – هما علة الخلاف، وهما إرث قديم، يستوجب منهجاً شمولياً ومعالجة من منظور تام الأبعاد لقضايا العقيدة – أصولها وفروعها – كمسألة الرؤية، ليكون للفكر عند الخلف أثر من بعد سلفه، له محله من الإضافة.

ومن الأسباب التى دعت الباحث إلى اختيار مفهوم رؤية الله موضوعاً للدراسة بين المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة:

١- إن كثيراً من الدراسات التى تناولت أصول العقيدة وفروعها لم تنفرد بالتركيز على موضوع الرؤية فى دراسة تحليلية مقارنة بين متكلمى الإسلام وفلاسفته ومتصوفيه.

٢- إن القول بإنكار الرؤية ينتج عنه بالضرورة عند أدعياء الإسلام وأعدائه قضية تمس جوهر العقيدة وأصول التشريع وهى إنكار السنة المطهرة، وفى هذا تضييع للقرآن والدين، وإثباتها يساهم فى إقرار إجماع الأمة على تثبيت مصادر تشريعهم واستقرار عقيدتهم.

٣- إن قضية الرؤية تتصل اتصالاً وثيقاً بقضية المحكم والمتشابه من الآيات، والاتجاه إلى حسم الخلاف فيها يوصل إلى تضييق الفجوات بين اتجاهات المسلمين حيالها وحيال كثير من قضايا الغيب عموماً.

٤- إن التوصل إلى قول فصل فى قضية الرؤية فيه إقرار بالثوابت التى ترتكز عليها العقيدة.

٥- إن إقرار الرؤية فى اليوم الآخر وبالتالى تثبيت السنة يحول دون محاولات دائبة تجرى فى الخفاء منذ القدم وإلى يومنا هذا لجر المسلمين – عامتهم ومفكريهم – إلى أن يصيروا مذاهب شتى واتجاهات دينية متباعدة.

٦- إن المنهجية الأحادية النظرة – وليست الشمولية – فى فهم وتحليل واستقراء قضية الرؤية، قد شاعت بين أغلب الاتجاهات الفكرية، ومن ضرورات العصر، والعلم، والدين، أن تنهض منهجية تراعى الشمولية فى تحليلها وضبط مدلولاتها.

٧- إن قضية الرؤية كغيرها من كبريات قضايا الأصول والفروع، قد نتج عنها تضارب شديد فى أحكام المسلمين على أنفسهم من الانتماء للدين والخروج عنه والتكفير، وهذا من شأنه أن يؤلب نفوس العامة والخاصة فى مواجهة ما تثيره العقيدة من قضايا فكرية.

٨- إن فقدان التئام المعايير – على تنوعها – فى تقنين النهج الإسلامى لرؤية الله تعالى فى اليوم الآخر، يولد تضارباً بيناً فى مذاهب الإسلاميين، فلزم لتثبيت عقيدة الرؤية أن يستوفى تقنينها حقه من معايير: اللغة، والدين، والعلم والواقع مجتمعين.

٩- إن التطرف والغلو في استيعاب قضايا الدين بين كثير من الجماعات والفرق الإسلامية، إنما نجم عن فهم قاصر يلتزم وجهة بعينها مما يوحيه النص ويتصلب في اعتناقها ويضلل ما عداها، وقد أثار ذلك معه أحكاماً على أمة الإسلام والإسلام ذاته بالجمود بالتطرف والغلو ، من قبل خصوم يفتقدون بالأصل إلى ما امتلكه المسلمون وهو النص الإلهي المحكم.

لهذه الأسباب كانت تلك الدراسة بهدف تحليل أقوال ومذاهب المتكلمة والفلاسفة والمتصوفة من المسلمين إزاء قضية الرؤية.

وسوف تتبع تلك الدراسة في سبيل تحقيق الهدف المرجو منها منهجاً تحليلياً مقارناً نقدياً، وذلك حتي يكتمل لها بناؤها العلمي، حيث:

١- المنهج التحليلي:

بغرض فهم مذاهب المتكلمين، من أقر منهم بالرؤية العيانية كالأشاعرة والسلفيين، ومن شدد على الرؤية القلبية كأهل الاعتزال ومن والاهم، وتحليل مذاهب الفلاسفة في الرؤية العقلية وفق ما جرت عليه عادة الفكر اليوناني في التفلسف، واستعراض مذاهب المتصوفة في تجربتهم القلبية الخاصة لإقرار الرؤية الذوقية الوجدانية، حيث إن موضوعية التحليل تقتضي الوصول إلى حكم فصل في أيهما أحق بالأسبقية في الفكر الإسلامي: المذهب أم المنهج، وذلك بهدف ترسيخ عقيدة المسلمين في الرؤية.

٢- والمنهج المقارن:

لبيان أوجه التشابه والاختلاف وماهية الفروق بين اتجاهات المسلمين من متكلمين وفلاسفة ومتصوفة في موضوع «رؤية الله»، بل وبين مفكري الاتجاه الواحد، لرسم صورة جلية دقيقة لما جادت به مناظراتهم من مذاهب ومناهج مستخدمة ونتائج مستنبطة.

٣- والمنهج النقدي:

حتى يكتمل للدراسة عقدها العلمي، وتنحو إلى الموضوعية والحيادية في أحكامها ونتائجها تجاه مذاهب المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة إن أصابت أو جانبت الصواب، ولاستجلاء حجم المغالطة التي أتاها المعتزلة في قياسهم الغائب بالشاهد والتعسف في التأويل،

والكشف عن مزالق المنهجية الأحادية النظرية فى استيعاب النصوص الدينية، وبيان مدى صدق المقدمات وصحة النتائج فى عقيدة كل مذهب منها فى الرؤية، وتحليل مدى الارتباط المنطقى فى المناهج المستخدمة للدلالة على ما اعتمده كل فريق فى دعم مذهبه فى قضية الروية.

وقد جاء محتوى البحث فى هيئة فصول سبعة وخاتمة كما يلى:

الفصل الأول

مفهوم «رؤية الله»

والذى يتناول «رؤية الله» من حيث كونه مفهوماً لغوياً ثم يحدد مفهومها من حيث الدلالة الاصطلاحية، ويعرج إلى تبيان حقيقة المقصود بالرؤية، ويورد العلاقات (البنائية – الوظيفية) بينها وبين مفاهيم: الإحساس والإبصار والمعاينة والاطلاع والمشاهدة والإدراك والنظر والذوق والبصيرة، ويبين أنواع تلك المفاهيم من حيث كونها: حسية، أو عقلية، أو قلبية، أو ذوقية وجدانية، جزئية كانت أو كلية، ويوضح مراحل الرؤية وصورها وما تدل عليه لغة، وعقلاً، وعلماً، وتفلسفاً، وواقعاً يشكل وجوداً يمكن تحققه فى اليوم الآخر، كما يتجه إلى تحليل مفاهيم الكلام والفلسفة والتصوف لغة واصطلاحاً عند مؤرخى الفكر فى الإسلام وعند غيرهم.

الفصل الثانى

رؤية الله فى القرآن

كان منطقياً – بعد تحليل مفهوم الرؤية، ولتلمس الطريق الصحيح فى فهم الرؤية – أن تتجه الدراسة إلى القرآن المصدر الأول للعقل الإسلامى فى عقيدته، ليستعرض هذا الفصل موقع القرآن من الفكر الإسلامى، والآيات المرتبطة بالرؤية من جهة اللغة، وتلك التى اشتملت على دلالات الرؤية بكافة أبعادها والآيات التى اتصلت بالرؤية من جهة المعنى، فقسمها إلى: آيات يفهم من ظاهرها إثبات الرؤية، وآيات يفهم من ظاهرها إنكار الرؤية، وآيات لم يصرح ظاهرها بجواز أو نفى للرؤية، ثم اتجه هذا الفصل للآيات المتصلة بالرؤية من حيث معالجتها

لقضية الصفات التى تتصل بالرؤية، وينتهى إلى تحليل الآيات المتصلة برؤية المعراج فى استعراض لأغلب ما جاء فيها من أقول، لينتهى إلى النتائج المنطقية فى الرؤية القرآنية التامة الدلالة والشاملة لكافة أبعادها.

الفصل الثالث

رؤيـــة اللـــه فـى السنـــة

يركز هذا الفصل على ما به تكتمل صورة الإسلام عند معتنقيه ومن سواهم، وهى السنة المطهرة الصحيحة قطعية الثبوت، ويرد هذا الفصل من البحث فى جزءين: المقدمات التى أوردتها السنة لإثبات رؤية اللـه تعالى من حيث ما تعلق الصحيح منها بالرائى وهو الإنسان، وما تعلق بالمرئى وهو الله عز وجل، وما تعلق بفعل الرؤية، ثم يصل إلى النتائج التى قررتها صحاح الأحاديث من ثبوت رؤيته تعالى فى اليوم الآخر، رؤية تعنى ما دلت عليه اللغة والاصطلاح اللذان يعتمدان على معطيات الفكر والعلم والواقع.

الفصل الرابـع

مثبتـو الرؤيـة العيانيـة مـن المتكلميـن

يستقرئ هذا الفصل مذاهب المتكلمة التى أقرت بثبوت رؤيته تعالى عياناً، وقد شكلت تلك المذاهب الاتجاه الأغلب على تيارات متكلمى الإسلام، ويتتبع البحث منهجية هذا الاتجاه فى إثبات معتقده، من حيث كلامهم عن الصفات، وموقفهم من مسألة التأويل للمتشابه من الآيات، وإلى أى مدى يظل التنزيه قوياً فى مواجهة مذاهب القائلين فى الرؤية بالمعاينة، وينتقل إلى تقصى كنه الرؤية العيانية والفرق بينها وبين الإدراك بمعنى الإحاطة بالمرئى، ويستعرض الشروط التى ذهب بمقتضاها اتجاه القائلين برؤية العيان إلى إقرارها من حيث ما يتعلق منها بفعل الرؤية كالإمكان وما يتعلق بالمرئى كالوجود والقدم والتنزيه، وما يتعلق بالرائى وهى دلالات الحياة والعلم والمعقولية، ويحلل كيفية الاستدلال على الرؤية العيانية، ما ورد منها بدلالة النقل، وما أكدته دلالة العقل كدليل المغايرة، والقدرة والإحكام، والخصوصية، والوجود، والقيومية والتمدح.

الفصل الخامس

منكرو الرؤية العيانية من المتكلمين

في هذا الفصل ينكر المعتزلة من الرؤية بعدها العياني، ويثبتونها رؤية قلبية، ويحلل البحث في هذا الفصل المنهج العقلي الذي اتبعه مثبتو الرؤية القلبية حيث التوحيد بين الذات والصفات دفاعاً عن حقيقة التنزيه وهدماً لاتجاهات المشبهة والمجسمة في الرؤية، ويستنبط المدى الذي ذهب إليه المعتزلة في التجريد العقلي للصفات، وكيفية قياسهم الغائب بالشاهد، وتعسفهم في التأويل العقلي لإقرار مذهبهم، حيث العقل هو القاسم الأكبر في كافة أبحاثهم الكلامية والمحور الذي تشكلت حوله كافة نزاعاتهم مع الخصوم، ثم يستقرئ الدلالة في إثبات الرؤية القلبية وتداخلها مع دلالات العلم وكيف اعتبر المعتزلة أن نفي الرؤية العيانية توحيد خالص مجرد، وينتقل إلى المنهج الذي اعتمده المعتزلة في إقرار مذهبهم والذي انبنى على مبادئ وطرائق للاستدلال، وتقيد بضوابط منهجية تميزوا بها عن غيرها من متكلمي الإسلام، وكيف استعانوا بدلالة العقل الإثبات الرؤية القلبية كأدلة المقابلة والموانع واللغة والتحيز والصفات والتمدح والانطباع، وبأدلة السمع من جهتي القرآن والسنة، وبدلالة الإجماع.

الفصل السادس

رؤية الله عند الفلاسفة

وفيه تبيان لمذهب الرؤية عند فلاسفة الإسلام حيث التميز في الموضوع والمنهج العقلي وخصوصية العلاقة بينه وبين الفكر اليوناني، وبحثهم عن الله تعالى وصفاته من حيث تصورهم للواجب الوجود بأنه عقل لذاته، وتصورهم لليوم الآخر والحشر والمعاد، إذ إنها المقررة لحقيقة الرؤية في معتقدهم، ويناقش الفصل أثر نظرية الفيض والصدور في الفكر الإسلامي، حيث كانت الرافد الأقوى لمذهبهم في رؤية عقلية اصطبغت بطابع صوفي، كما يحلل مذهب الفلاسفة في النفس، الصفة الكائنة في الموجودات والمعبرة عن صدورها في نظرية الفيض وهي جوهر الإنسان الذي به يتم فعل الرؤية، حيث إن التصور العقلي عندهم هو إحساس الإنسان شيئاً من خارج النفس، ولهذا كانت الوجهة العقلية الصرفة للرؤية عند

الفلاسفة هى المعبرة عن مذهبهم الذى اعتمدوا لإثباته دلالات التعقل، والمعاد، والفيض، والنفس والكشف.

الفصل السابع

رؤيـــة اللـــه عنـــد المتصوفـــة

يستطلع هذا الفصل تجربة التصوف الروحانية فى عمومها وفى فرديتها بين المتصوفة، وحقيقة الزهد الصوفى والسلوك الخلقى المعبر عن تجربتهم، ويحلل المنهج الذوقى فى ترقّية لرؤية الخالق، والعلاقات بين الذوق والكشف والفيض والحدس والإشراق، وماهية المجاهدة الصوفية وتميزها بالأخلاق والخلوة والذكر والحياء وملازمة النص الشرعى والتوبة ومجانبة اللذات والمداومة والمعرفة ويتتبع البحث مقامات وأحوال وخواطر الصوفية فى زهدهم، ويفصل القول فى ظاهرات الرؤية الذوقية التى تتميز بذاتية الممارسة ولغة التجربة وتعابيرها مثل: المعاينة والتجلى والمشاهدة والكشف والفناء والحب الإلهى، ويوضح التشابك بين مذاهب المتصوفة والمتفلسفة، فى كون الذوق الصوفى بناء فكرياً فلسفياً حيث تطرق المتصوفة إلى القول بالاتحاد والاتصال ووحدة الوجود والإنسان الكامل، فى صور تعبيرية عن الذوق الصوفى لتحقيق رؤية الله تعالى فى الدنيا وفى الآخرة.

★★★★★★★★★★★★★

ويبقى على الباحث واجب الثناء والإقرار بالعرفان للأستاذ الدكتور/ سعيد مراد، أستاذ الفلسفة الإسلامية ورئيس قسم الفلسفة بآداب الزقازيق، الذى ما ادخر جهداً ولا رعاية ولا توجيهاً للبحث بدءاً من الوقوف على موضوعه ومروراً بكافة مراحل إنجازه، فلم يكن ليكتمل إلا بوافر صبره، وعظيم أثره، وصحيح علمه وإيمانه.

كما يتقدم بعظيم الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور/ أحمد البرى رئيس قسم الفلسفة بآداب بنها، لما كان منه من دعم متواصل، وتحفيز مخلص، ومعاونة دؤوبة صادقة.